قراءة في كتاب الكنى والألقاب

الكنية: فأصلها من الكناية، وهي أن تتكلم بالشيء تريد به غيره، تقول: كنيت وكنوت.. بكذا، وعن كذا.. والجمع: الكنى، وفلان كني فلان كما تقول: سميته - إذا اشتركوا في الإسم والكنية.

وقد جيء بالكنية لاحترام المكنى بها وإكرامه وتعظميه كيلا يصرح في الخطاب باسمه.. وهذا مختص بالإنسان دون غيره، وهو الأصل، ولا يلزم كون الرجل له ولد أم لا، كان أكبراً ...أم لا.

وقد قيل: إن السر في وضع الكنية ودواعيها والمقتضي لحصولها أمور:

أحدها: الإخبار عن نفس الأمر؛ كقولنا: أبو الحسن، كنية بابنه الحسن سلام ا عليهما.

ثانيها: التفاؤل والرجاء؛ كقولهم: أبو غائب؛ لمن يترقب الولد، وأبو عمرو؛ لمن يرجو ولداً يطول عمره، وكذا: أبو الفضل.

ثالثها: الإيماء إلى الضد؛ كأبي بصير للأعمى، وأبي يحيى للموت.

رابعها: أن يكون الرجل إنساناً مشهوراً وله أب مشهور فيتبادلان ويتعارضان الكنية، كأبي يوسف ليعقوب (ع)، وأبي يعقوب ليوسف (ع).

خامسها: اشتهار الرجل بخصلة فيكنى بها؛ إما بسبب اتصافه أو انتسابه إليها بوجه قريب أو بعيد.

ثم حيث كان أصل الكنية أن تكون بالأولاد تعين أن تكون في خصوص من ولدوهم، فمن لم يكن له ابن وكانت له بنت كنوه بها، ومن لم يكن له ابن ولا بنت كنوه بأقرب الناس إليه.. وقد جروا في كنى النساء بالأمهات هذا المجرى.

وأما اللقب؛ وهو لغة: ما يعبر به عن الشيء، واصطلاحاً: علم يشعر بمدح أو ذم باعتبار معناه الأصلي، وبعد أن كان اللقب يستعمل للذم والاحتقار والاستهجان - برهة ليست بالقصيرة - مما سوغ أن نهى عنه عز

اسمه بقوله:

﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١]، والذي يعبر عنه عند اللغويين بـ: التنابز مقابل الكنية التي كانت تستعمل غالباً للتعظيم والإكرام والتبجيل، ومنه قول بعض الفزاريين:

أكنيه حين أناديه لأكرمه ..... ولا ألقبه فالسوأة اللقب

حتى روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « بادروا أولادكم بالكنى قبل أن تغلب عليهم الألقاب ».

وعنه صلوات الله عليه وآله أنه قال: «أشيعوا الكنى فإنها منبه».

وكذا ما روي عنه صلوات الله عليه وآله من قوله: «تكنوا فإنه أكرم للمكني والمكنى».

وجاء عنه صلوات الله عليه وآله: «كنية الرجل أحد شواهد عقله، واسمه أحد شواهد عقل أبيه».

بل قيل: لا يكنى أحد كنيتين أو ثلاثاً إلا كان سيداً من السادة.

وورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «السنة والبر أن يكنى الرجل باسم أبيه».

بل يظهر من بعض الروايات أن التسمية الصرفة قد تدل على التحقير وترك التعظيم والتوقير عرفاً، بل يسميه بالكنية لما فيها من التعظيم عند العرب، كما جاء عن أبي الحسن موسى (ع) حين سأله السائل: ما حق الوالد على ولده؟، قال سلام الله عليه: لا يسميه باسمه، ولا تمشي بين يديه..».

بل نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أن يصافح المشركون أو يكنوا أو يرحب بهم.

وبعد كل ذاك؛ نجد اللقب قد تطور فأصبح يستعمل للمدح والتعظيم بمقدار ما له من استعمال في الذم

والتحقير.. بل لعله قد غلب في يومك هذا في الأول دون الأخير.

ومن هنا يعلم أنه قد يتقرب إلى ولاة الأمور وملاك الحل والعقد من الألقاب والسمات والصفات وغير ذلك مما يبلغ من الشهرة أقصاها وينتهي إلى أن يغلب على الأسماء والكنى ولا يقع التعريف إلا به ومع. ذلك فلا يكون صادراً عن حجة ولا مبنياً على صحة، مثل قولهم: الصديق، والفاروق، وذو النورين.. وغيرها.

والجدير بالملاحظة التنبيه على عدة أمور، هي:

أولاً: قد يطلق لفظ الإسم على الكنية وعلى الصفة أيضا فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمّى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بـ: أبي تراب، ولم يكن له اسم أحب إليه منه.

ثانياً: قيل: الكنية للإبانة واللقب للتبجيل، فلا يكون الله تعالى كنية؛ لأنه بان بصفاته.